الاجتماع الديني والرهانات المؤسسون "ماركس ، دوركهايم ، فيبر"

ا.د.عامر عبد زيد الوائلي

جامعة الكوفة –العراق

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018/12/30	2019/01/07	2019/09/23

يشكل الجانب الاجتماعي حضور فاعل بل مؤثر في دراسة وتفهم السلوك الاجتماعي للمجتمعات وعلاقتها بالسياسية والدين وتمظهراتهما في الفضاء العمومي وقد مرت تلك العلاقة بين المجتمع وعلم الاجتماع بمراحل نمو علم الاجتماع التي تستجيب الى ازمات المجتمع وتعقيداته ، مما ادى الى ظهور تفرعات جديدة منها علم الاجتماع الديني وهو نتيجه التقاطع بين علم الاجتماع والدين ،وقد تم تعليل هذه النشاة بالقول بأن الدين هو ظاهرة أجتماعية في المقام الأول فالمجتمع من وجهة نظرهم عندما يتعرض لبعض الأزمات فإنه يحاول جاهدا الخروج منها ويبتكر لذلك الكثير من الحلول وعندما تنجح طريقة معينة للخروج من الأزمة فإن المجتمع يقدس هذه الطريقة وتقدسها الأجيال المتعاقبة بعد ذلك.

The social aspect is an effective presence in the study and understanding of the social behavior of societies and their relation to political and religion and their manifestations in the public space. This relationship between society and sociology has passed through the stages of the development of sociology which respond to the crises of society and its complexities, which led to the emergence of new branches, Because of the intersection between sociology and religion, has been explained by the saying that religion is a social phenomenon in the first place, the society from their point of view when exposed to some crises, it is trying to get out of it and

invent a lot of solutions and when successful The community will sanctify this method and be sanctified by subsequent generations.

الكلمات المفتاحية

- هناك كثير من التوصيفات الاجتماعية للدين.

- هناك تعالق كبير بين المجتمع وتعقيداته وأثرها على تطور علم الاجتماع.

- ان الرهان الاساس في ظل حقبة الحداثة كان يقوم على بحث في الاصول .

(كل من كان غير قادر على العيش في المجتمع ، أو لا حاجة به لذلك ؛ لأنه مكتفٍ بذاته ، فإنه أما وحشٌ أو إلهٌ) أرسطو

. كما يقول إدغار موران :"يتعين أن نحيا موتاً، و أن نموت حياة "([1])

مدخل

راهنية الموضوع : يشكل الجانب الاجتماعي حضور فاعل بل مؤثر في دراسة وتفهم السلوك الاجتماعي للمجتمعات وعلاقتها بالسياسية والدين وتمظهراتهما في الفضاء العمومي وقد مرت تلك العلاقة بين المجتمع وعلم الاجتماع بمراحل نمو علم الاجتماع التي تستجيب الى ازمات المجتمع وتعقيداته ، مما ادى الى ظهور تفرعات جديدة منها علم الاجتماع الديني وهو نتيجه التقاطع بين علم الاجتماع والدين ،وقد تم تعليل هذه النشاة بالقول بأن الدين هو ظاهرة أجتماعية في المقام الأول فالمجتمع من وجهة نظرهم عندما يتعرض لبعض الأزمات فإنه يحاول جاهدا الخروج منها ويبتكر لذلك الكثير من الحلول وعندما تنجح طريقة معينة للخروج من الأزمة فإن المجتمع يقدس هذه الطريقة وتقدسها الأجيال المتعاقبة بعد ذلك.

[1] - إدغار موران ، إلى أين يسير العالم ؟ترجمة ،أحمد العلمي، دار العربية للعلوم ناشرون ،ط1، بيروت ،2009.

تعريف الدين اجتماعيا : هناك كثير من التوصيفات الاجتماعية للدين وهي كثيرة ومن خلال الحفر في هذا الموضوع فان الدراسات تجعلنا ازاء تنوع في التوصيف الاجتماعي والفلسفي للدين :إذ يرى كانط ان الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية .([2]) ومن بعده ويرى هيجل الدين بوصفه فن باطني يصور لنا الحقيقة الإلهية من الداخل عن طريق الشعور الباطني .([3])فيما يراه رائد التأويل شلاير ماخر بوصف الدين خضوعنا لوجود لا يناله ادراكنا . ([4]) يرى فورباخ أن الدين هو الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة ([5]) فيما يميز برجسون بين نوعين من الدين : الدين الديناميكي ، والدين الاستاتيكي الثابت .أما الدين الديناميكي / المتطور فهو دين من خلق الإنسان ، من صفوة البشر سما إلى فكرة مثالية . وحاول أن ينبثق من أعماقه دين أو فكرة تفيض على الإنسانية كلها . وقد حقق بعض كمال من الخلق من أمثال المسيح وبعض عظماء الصوفية فكرة هذا الدين .اما الدين الاستاتيكي فإنه يحدده بأنه " رد فعل تقاوم به الطبيعة ما في ممارسة العقل مما يشل حركة الفرد ويقضي على تماسك المجتمع ، وهذا التعريف يذهب بعد ذلك إلى إقامة هذا النوع من الدين على المجتمع المغلق هذا المجتمع الذي يسيطر بعقائده وطقوسه على أفراده – ويغلقهم في عقائده .([6]) وقد بدأ فريزر بدراسة الذي يبدأ دراسة الدين "بظهور فكرة الآلهة " أو على الأقل " بظهور النفوس الفردية " ونفوس الموت والقرائن الطبيعية في شكل آدميين .([7]) اما ماكس موللر فالدين مرض لغوي ... ، وان الدين ليس سوى انعكاس عجز البشر الطبيعي والاجتماعي .([8]) أما أ.تيلور فينظر الى ان اصل الدين لا يمثل في النزعة التعويذية ، بل في النزعة الاحيائية الابتدائية .([9])

تطور علم الاجتماع الديني : إذاً هناك تعالق كبير بين المجتمع وتعقيداته وأثرها على تطور علم الاجتماع ؛لأن من بين اهداف هي دراسة الحياة المجتمعية اذ هو يتعلق: بدراسة بناها الداخلية

[2] - احمد الخشاب ، الاجتماع الديني ، مكتبة القاهرة الحديثة ،ط1، القاهرة ،1964،ص75.
[3] - زكريا ابراهيم ، مشكلة الفلسفة،دار القلم ، القاهرة ،1962 ،ص193.
[4] - روجيه باستيد ، مبادئ علم الاجتماع الديني، ترجمة : محمد قاسم ،الانجلو المصرية ، القاهرة ،1951 ،ص23.
[5] - عبد الله الخريجي ، علم الاجتماع الديني ، رامتان – جدة ، ط2، 1990ص31.
[6] - علي سامي النشار ، نشاة الدين النظريات والتطورية والمؤلهة ، مركز الانماء الحضاري ، ط1، حلب 1995، ص20.
[7] - المصدر نفسه ،ص20.
[8] عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1981 ، ص 53 – 54 .
[9] - المستشرق حبيب ، عادل العوا ، منشورات عويدات ، ط2، بيروت ، 1989، ص 8.

وعلاقاتها الجدلية،ويسعى لتحليل الأسس الاجتماعية للمبادئ التي تحكم الجماعات البشرية، محاولا من خلال مقارنة مختلف أنماط المجتمعات البشرية، تحديد الأسباب والقوانين العامة لتطورها ، ولزمن طويل، لم يكن علم اجتماع الدين يمثل بموضوعه الخاص، سوى فرع خاص من علم الاجتماع العام. كانت المدرسة الفرنسية خلال الربع الأول من القرن المنصرم ، قد تبنت الفكرة القائلة، بأن أسس أي دين تكمن أولا في الحياة الجماعية ، ومن جانبه أيضا ربط علم الاجتماع الجدلي بشدة الوقائع الدينية بالبنى الاقتصادية والاجتماعية، حاصرا علم الاجتماع الديني في حدود الاختبار النقدي لعلاقات الخضوع بين الدين والتناقضات الاجتماعية. وبتطبيق رسم جد مختصر، أكد التحليل الماركسي أن الحقيقة العميقة لأي موقف ديني، ليست سوى نتاج ظرفية اجتماعية، يتحدد فيها طبقا لانتمائه لطبقة اجتماعية معينة. فالظاهرة الدينية تتجلى بمثابة التجسد لواقع محدد، حيث تكون تعبيره الإيديولوجي والانعكاس الجلي لمصالحه المادية. فبنوع من الحتمية وبصفة غير مباشرة، كان التطور لتحليلات جد معمقة.

الدراسات المعاصرة .إذ نجده في هذا المستوى المعاصر يقوم علم الاجتماع بصفة عامة :

دراسة ظواهر الحياة الدينية في جميع أشكالها، وذلك باستخدام التاريخ المقارن للأديان، وعلم الأجناس، وطرق الإحصاء الاجتماعي كأدوات لهذه الدراسة،ومن هنا يحتل علم الاجتماع الديني اليوم مكانا عظيم الأهمية عند علماء الاجتماع .نظرا للمكان الممتاز الذي تحتله دراسة الظواهر الدينية من بين مجموعة العلوم الاجتماعية من خلال دراسة: المعتقدات ، والممارسات ، و اشكال التنظيم الديني ، باستخدام أساليب والآليات الانضباط المعتمدة في علم الاجتماع .تشمل ايضا (الدراسات ألاستقصائية واستطلاعات الرأي، والتحليل الديموغرافي والتعداد ، وإجراء المقابلات، وتحليل الوثائق الأرشيفية، المواد التاريخية والوثائقية. ([10])

[10] - الموسوعة الحرة ،بالانكليزي .

علم الاجتماع الدين الاصول والمنطلقات : شغل الدين مكانه مهمه في ابحاث علم الاجتماع الديني:

1- ذهب عالم الاجتماع الألماني مانشينج G.Menching يتحدث في كتابه(علم الاجتماع الديني) عن أشكال المجتمعات الدينية الوطنية، وعن الدين العالمي والدولة، وعن نظام الدين، والرؤساء الدينيين، وعن تناقص المجتمعات الدينية والأديان الحية، وعلاقات المجتمعات الدينية فيما بينها.

2- بينما نجد الاجتماعي الامريكي جواشام ويشي في كتابه(علم اجتماع الدين Jaachim wachيدرس علاقات الدين بالمجتمع في نظامه الطبيعي، وعلاقات الدين مع كل نوع من أنواع المنظمات حتى الدولة، ويجعل للتجربة الدينية أشكالا للتعبير، فتعبيرها النظري هو العقيدة ، وتعبيرها التطبيقي هو العبادة.

3- أما الاجتماعي الفرنسي كبريال ريال لوبرا Gabriel le bras فإننا نجده يخصص كتابه الضخم(دراسات علم الاجتماع الديني) لدراسة الميدان الثاني من ميادين هذا العلم، وهو ممارسة الشعائر الدينية، خاصة في البادية الفرنسية، حيث يقوم بتحليلات علمية للحياة الدينية في تاريخ البادية الفرنسية، ويتحدث عن نظام مراقبة الممارسة في مختلف الاسقفيات عبر التاريخ. ([11])

وظائف علم الاجتماع الديني:

1- لتعزيز فهم دور الدين في المجتمع.

2- لتحليل أهميته وتأثيره على التاريخ البشري.

3- لفهم القوى الاجتماعية والمؤثرات التي بدورها شكلت الدين ([12]).

[11] - -M. Hamilton, The Sociology of Religion (London: Routledge, 1994)
[12] - -M. Hamilton, The Sociology of Religion .

الرهانات الاباء المؤسسون :

يظهر جليا ان الرهان الاساس في ظل حقبة الحداثة كان يقوم على بحث في الاصول وهذه الملاحظة تظهر في كل النظريات السوسيولوجية للآباء المؤسسين على مساءلة أصل الواقع الاجتماعي ووضعه الأنطولوجي.

وكانت ردا على التحديات التي جاءت في تلك المرحلة التي جاءت معها الثورة الصناعية والثقافية والعلمنة وقد تكرست كل الجهود من اجل ايجاد تحليل نقدي للظاهرة الدينية ، وقد ذهب بعضهم إلى عد علم الاجتماع الديني هو ما دشن ولادة النظرية السوسيولوجية ذاتها مثلها : ماركس ، واميل دوركهايم ،ماكس فيبر وعلى الرغم من ان علماء معاصرين أناروا مسائل اضافية وربما مختلفة عن تلك التي اثارها الاباء ، فان استمرار أهمية اعمال هؤلاء الثلاثة تعكس امرين :

اولهما ان المسائل العامة التي أثاروها تتشابه مع بعض المسائل التي يثيرها علماء الاجتماع اليوم وخصوصا في علم الاجتماع الديني .

وثانيهما إن أطر التحليل والتفسير الاجتماعيين او المنظرون السوسيولوجية التي ابتدعها هؤلاء الاباء المؤسسون ثم تطورت وتعديلها ولكن لم يتم احلالها احلالا كليا ومنها تلك العلاقة التي تناولها علم الاجتماع الديني .

اولا : كارل ماركس (1818-1883)

قد سبق الآخرين بما لا يقل عن جيل. هناك نوعان من التوصيفات الأساسية في المنظور الماركسي في الدين؛ الأول وصفي، و الثاني تقييمي.

أما الجانب الأول فقد وصف ماركس الدين كمتغير تابع. وبعبارة أخرى، كان شكله وطبيعته تعتمد على الاجتماعية الذي بدوره كبنى سطحية خاضعة الى تغيرات البنا العميقة المتمثلة بالعلاقات الاقتصادية، التي شكلت حجر الأساس للتحليل الاجتماعي. حتى بات لا شيء يمكن أن يكون

مفهوما دون اخذ بنظر الاعتبار العامل الاقتصادي متمثل بالنظام الاقتصادي المتمثل بالعلاقات التي تقيمها الرأسمالي / التي تمتلك وسائل الإنتاج.

وهذا ما تناوله ماركس وإنجلز في الايديولوجيا الالمانية (1845–1846) كان ماركس وانجلز في الايديولوجيا تمثيلاً معكوساً للواقع ، ومن ثم فانه –كما بينا سابقا –يجعل من الاقتصاد البنية العميقة الممثل بقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هي المحددة للبنية السطحية الممثل بالنظم السياسية والعوالم الرمزية و المؤسسات (سياسية وقانونية ،دين ، تعليم و الايديولوجيا (النظريات ، والمفاهيم ، والتمثلات)([13])

الجانب الثاني يحتوي على عنصر التقييم. التي بمقتضاها يرى ماركس الدين بوصفه شكل من أشكال الاغتراب. بل هو عرض من أعراض التشوه الاجتماعي الذي سوف تختفي مع قدوم مجتمع لا طبقي. الدين ضمن هذا التقييم لا يمكن فهمه وكم ثم تقيمه بمعزل عن العالم الذي هو جزء منه، وهذا يعد بعدا أساسيا في التفكير السوسيولوجي.

لا شك ان هذا الجانبين كانا انعكاساً البعد النقدي الذي كان ماركس يمثل الاثر التنويري اذ كان " قد احتضن دعوة ذلك العصر القائم على التوظيف العقلي في نقد الدين في ضوء التقدم العلمي ". ([14])إلا أن ماركس تجاوز الجانب المعرفي الى تغير العالم عبر بحثه فيما يسمى "العلوم التطبيقية "القائمة على نقد المنظومة المعرفية التي بزغت في القرن التاسع عشر متمثلة بعصر الايدولوجيا الى جانب الاثار التي خلفها التصنيع وتركت بصمات موجعة في الواقع الاجتماعي هنا كانت جهود ماركس تكتشف العامل الاقتصادي وإثارة العميقة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ومنها الدين ، فجاء نقده من أجل تغير هذا الواقع وأحداث التنمية البشرية .ومن ثم لم يكن ماركس سجين الرؤية التنويرية([15]) التي تناقش الجانب المعرفي وتكتفي به بل ان ماركس كان هدفه يقوم على تغيير هذا

[13] دانيال هيرفيه ليجيه ،جان بول ويلام ، سوسيولوجيا الدين ، ترجمة ، درويش الحلوجي ، المجلس الاعلى للثقافة ، ط1 ، القاهرة ، 2005، ص30-31.

[14] Jump up^ Christiano 2008, p. 124

[15] لقد اعتمد الفكر التنويري على النقد بهدف الانتقال التدريجي من نقد الذات والعلاقات الاجتماعية إلى نقد المؤسسات التي أنتجت التماثلات والتصورات المختلفة للإنسان في الحقب السابقة، ثم لتستقر آليات النقد موجهة نحو تشخيص سلبيات الفكر

الواقع عبر الثورة على النظام الرأسمالي وإيجاد نظام بديل اكثر تحقيق للعدالة وقد وسمه بالاشتراكية التي تقوم على الملكية العامة للوسائل الانتاج وأزالت الاغتراب .القائم على قناعات ايديولوجية تبرره سواء أكانت ايديولوجيا ام ديناً ." كانت جوهر حججه تقوم على ان البشر هم افضل من يحيطون بواقعهم اكثر مما يمارسه الدين ممثل ب"المؤسسة الدينية" التي تمارس اخفاء الحقيقة وتمارس تضليل اتباعها ([16])(البيئة تخلق الإنسان ، أو الإنسان يخلق البيئة، أي بعبارة أخرى ظهر أن تطور الاحتياجات الاجتماعية أنما يفسره تطور الطبيعة الإنسانية)([17]) .

ينطلق ماركس من رؤية تقوم على الارتياب بالمؤسسة والمنهج الفلسفي ، وقد جاء موقف بالاضافة الى البعد المعرفي توصيفه النقدي للايديولوجيا فان (مفهوم الايديولوجيا مفهوم مركب ومتعدد المعاني في أعمال ماركس وإنجلس في الواقع ، تبدو الظواهر الأيديولوجية بشكل مختلف وفقا للزاوية التي يتم بها النظر إليها : سياسيا وفلسفية او تاريخيا إذا نظرنا إليها من وجهة النظر السياسية فهي تبدو كمنظومات للتعبير في خدمة السلطة .تعرف الايديوجيا من هذا المنظور أساساً عبر وظيفتها في إضفاء الشرعية على السلطة ، وتبدو بالتالي كمجموعة من التعبيرات المرتبطة بالهيمنة)([18])

وينقد ماركس إذن مفهوما محددا هو : فلسفة هيجل بعدها دفاعاً عن الدولة البيروقراطية الحديثة ، الدولة المعقلنة التي تستمد شرعيتها من المسيحية من ناحية ومن ناحية ثانية فان ماركس يعمل على المزج بين الاثنين في تصوراته لنظرية المعرفة ،أي علاقة الذات العارفة بموضوع المعرفة فتحول من مثالية هيجل إلى المادية التاريخية ،وفي هذا الموقف النقدي للمعرفة يمنحها بعدا واقعيا، عبر التأكيد على الاغتراب القائم على الملكية الخاصة , وعلاقتها بالأسس الإيديولوجية للنظام الاقتصادي .فهذا التوصيف مرده الى ان ماركس ينظر الى الاغتراب بوصفه قلب عدم المساواة

الديني والممارسات السياسية لتصل إلى تأسيس حقوق جديدة لا علاقة لها بالحق الإلهي في أصل السيادة. وقد كان هذا التحول التدريجي السبب الحقيق وراء تأسيس أخلاق جديدة مستقلة عن اللاهوت انظر : محمد بالراشد ، التنوير الأوروبي: فكرة الحركة الإصلاحية في العالم العربي، مجلة كتابات معاصرة، الناشرون للطبع والنشر، بيروت، 2009، ص 100

[16] Settimba, Henry (2009). Testing times : globalisation and investing theology in East Africa. Milton Keynes: Author House. p. 230. ISBN 1-4389-4798-4.

[17] جورج بليخانوف ،تطور النظرية الواحدة إلى التاريخ ،ت: محمد مستجير مصطفى،دار الطليعة ،بيروت،(د-ت) ص31.

[18] دانيال هيرفيه ليجيه ،جان بول ويلام ، سوسيولوجيا الدين ،ص25.

الاجتماعية. ومن اجل هذا فهو يتبع النقد الذي يأخذ عدة ابعاد ومنها :البعد السياسي يهاجم ماركس مفهوم الدولة المسيحية كما يلاحظها في دولة بروسيا في ذلك الوقت اذ يؤكد في كتابه "حول المسألة اليهودية 1844" في ان الدولة الالمانية / المسيحية ، سلطة الدين هي السلطة دين السلطة ، ويؤكد على ان الدولة الدينية هي دولة غير كاملة تظهر تعاملا سياسيا تجاه الدين وتتعامل دينيا تجاه السياسة ، فان تحرر الدولة من الدين لا يعني تحرر الإنسان من الدين ، فهو تحرر سياسي يقوم على انعتاق الدولة من الدين بشكل عام أي علمنة الدولة عبر تحرر الإنسان سياسيا من الدين باستبعاده من الحق العام إلى الحق الخاص .لكن هذا بنظر ماركس غير كافي كما يؤكد في الكتاب نفسه فهو يفصل الإنسان عن الإنسان ، لهذا يذهب ماركس ابعد من الفصل الى علمنة الدين نفسه أي يريد إعادة إنتاج علماني للدين ، فالدين تجديدا هو اعتراف بالإنسان عن طريق منحرف ، الاعتراف به عبر استخدام وسيط الدولة بين الإنسان وحرية الإنسان ، فالدولة هي الوسيط الذي يحول الإنسان اليه كل الجانب اللا إلهي من طبيعة ، كل حريته كإنسان بالنظر إلى الأحكام السائدة .([19]) ونقيض لهذا الاغتراب هو الحرية، وهكذا، لنشر الحرية وسيلة لتقديم الأفراد مع الحقيقة ومنحهم خيار قبول أو رفض ذلك ، في هذا الصدد، "ماركس لم يقترح قط أن يجب حضر الدين او اقصائه ". هنا يحاول ان يمنح الافراد حرية التفكير خارج ضغوط واكراهات المؤسسة الدينية ومن ثم نقل الدين من الحيز العام الى الحيز الخاص بوصفه تجربه فردية ولا يكفي بهذا فقط بل يرى ضرورة علمنه الدين نفسه .

الجانب الاخر من النقد وهو الجانب المركزي في نقد ماركس يقوم على نقد الوضع الاقتصادي في الغرب ، مع تطور التصنيع وما رافقه من اثار سلبية اقتصاديا التي مثلها النظام الراسمالي حيث الأغنياء الرأسماليون يزدادون غنى والفقراء من عمالها يزدادون فقرا (الفجوة، والاستغلال، وكان "فائض القيمة"). لم تكن حصة العمال المعاناة من الاستغلال فقط ، ولكن هناك اغتراب بين العامل والمنتج الذي يشترك او يساعد في انتاجه او خلقه. وهذا يحدث من خلال بيع المنتج من دون

[19] نفس المرجع ، ص27.وانظر تبعا له المسالة اليهودية ،70-71.

مراعاة لدور العامل الفنان الذي كان وراء ظهور دون تقدير مهارته في اضافة اجر له ، من هذا التشييء يأتي الاغتراب.([20])

دور الدين في تبرير الاستغلال :

فالاغتراب يظهر لدى العامل سخط وشعور بالنفور بالمقابل فان المستغل يزداد ربح وفائدة من ريع بيع المنتج الجيد الذي يعود عليه بالفائدة لمجرد انه يمتلك وسائل الانتاج والمواد الداخلة في الانتاج والعامل مجرد تكملة لهذه الدورة في الانتاج ، بالمقابل يرصد ماركس ان المؤسسة الدينية صاحبة الرأسمال المعنوي وأجهزة الدولة الامنية والإيديولوجي لتسويغ هذا الاغتراب ([21])، يشتركان في ضبط ردود الافعال بحفظ الامن وإسباغ التسويغ على الوضع القائم .اذ تقدم الكنيسة وسائل تخديرية وترجئ الامر الى الحياة الاخرة ففي الوقت الذي تصف فيه الرجاء الذي يعانيه اصحاب الثروات من الاغنياء في الحياة الاخرة اذ يكشف ماركس وانجلس عن بعض الغايات بين الرأسمالية والمسيحية في شكلها البروتستانتي ، ذلك مع بقائهما في الموقف نفسه من حيث الإطار التحليلي للبنى الاساسية الفوقية .المجتمع الرأسمالي ، يجد في المسيحية بتقديسها للإنسان المجرد ، وبشكل خاص باشكالها البرجوازية ، البروتستانتية والتأليهية الخ الإطار الديني الأكثر ملاءمة .([22])وهو بهذا يسبق ماكس فيبر في ابراز المؤثرات الدينية التي ساهمت في ظهور الرسمالية الغربيةعلى رغم من ان الدين يذكر الاستعارة الاتية ("فمن الصعب على رجل غني الدخول ملكوت السموات كصعوبة دخول الجمل من عين الابرة ... ") وانطلاقا من هذه الاستعارة نجد الكنيسة تطالب العمال الذين يعانون القهر والفقر في هذه ألحياة ان يصبروا ويتركوا الامر الى الله هو من سوف يزيل الظلم ويدخلهم الملكوت السماوي ، ملكوت الله. من هنا جاءت مقولة ماركس الشهيرة – "الدين هو أفيون الشعوب" لأن الإنسان يستطيع احتمال الألم الجسدي بمساعدة الأفيون و

[20] جورج بليخانوف ،تطور النظرية الواحدة إلى التاريخ ، ص32-33.

[21] لعل التجربة السياسية الماركسية عندما تحولت الى موسسة سياسية ممثله بالتجربة السوفتيه ان (الجنة السوفيتية) ليست أفضل من (الجحيم الأمريكي الرأسمالي) ، بل انها تتضمن نفس عناصر القمع والاستبداد والتحكم في الانسان التي ينطوي عليها المجتمع الرأسمالي .انظر: ماركيوز (هربرت) : العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية) ، ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 ، ص55-56 .

[22] دانيال هيرفيه ليجيه ،جان بول ويلام ، سوسيولوجيا الدين ،ص32.

كذلك فإن الشعب يستطيع احتمال الألم الناتج عن بؤس الحياة بواسطة الدين. فالأفيون يوهم الإنسان بشعور السعادة و كذلك الدين.([23]) وفي هذا يقول جورج لارين: (يواكب نقد ماركس للدين بداية نقده للآلية بل ويبدأ معها . وهو يعتبر أن الدين بديل للعقل تعويض للعقل عن قصور الواقع الاجتماعي إذ يعيد بناء الواقع في الخيال ،فحلول الدين حلول وهمية لانها تتجاوز الواقع الحقيقي)([24]) فهذا الواقع المتخيل تقدمه المؤسسة بوصفه بديل عن المطالبة والثورة وبهذا تساهم في تخدير العمال وتحول دون مطالبتهم بحقوقهم وهو الذي يظهر في عبارة ماركس(أن الشقاء والدين هو من جهة تعبير عن الشقاء الدافعي ،ومن جهة أخرى احتجاج على الشقاء الواقعي .الدين هو تنهيدة الكائن المقهور ،وقلب العالم القديم ، القلب كما هو روح الأوضاع القديمة الروح)([25]). وقد لاحظ بعض العلماء مؤخرا أن هذه هي المقاربة الجدلية لدى ماركس ليس دائما صحيحة فالدين ممكن يكون محرض وليس مخدر في الاحتجاجات المطالبة بالعدالة والإنصاف . ([26])

اذ تظهر الكثير من الاحداث ان ثمة تصور أخر للدين كان له اثر عظيم في التغير . يبدو أنه غاب عن ماركس البعد المغير للدين ضد الظلم والقهر كما في الثورات التي خاضتها جماهير الفلاحين في العصور الوسطى إذ كان الدين هو الحافز على الثورة والمطالبة بالتغير حيث أن الإيديولوجية تشير على نحو مباشر إلى البعد العملي في الدين ،بيد أن الأكيد الأخير بالمقابل ،لا يعني البتة إعداما للقيمة النظرية حتى في الإيديولوجية الدينية.وهي ذاتها المعاناة التي نلمسها اليوم في واقعنا العربي اذ تحول الدين الى محرض الاحتجاجات المطالبة بالعدالة وعودة انظمة حكم دينية بعينها كما تتجلى في الاصولية وقراءتها المتشددة فهي لا تنتمي الى التراث فقط بل هي على تماس مع الفهم الايديولوجي الذي يستثمر غياب العدالة والتنمية وانتشار الفساد .

[23] http://www.marxists.org/arabic/marx/works/1845/feuerbach.htm

[24] جورج لارين ، الايديولجي والهوية الثقافية ، ت: فريال حسن ,مكتبة مدبولي، ط1,القاهرة ،2002،ص58.

[25] سربست نبي ،كارل ماركس مسألة الدين،مؤسسة قموي للطباعة والنشر،ط1،2006،ص134.

[26] Jump up^ McKinnon, AM. (2005). 'Reading 'Opium of the People': Expression, Protest and the Dialectics of Religion'. Critical Sociology, vol 31, no. 1-2, pp. 15-38.

ومن ثم ممكن ان نتلمس أن ماركس لم يكن ضد الدين بشكل عام بل ضد الوظيفة التي تقوم بها المؤسسه الدينية من ثم فانه كان مدركاً دور الدين في تاريخ البشرية والمواضعات التي اتخذها في تكريس وعيها ودور القوى الاجتماعية المؤثرة في شكل الدين .

ثانيا : إميل دوركهايم (1858-1917)

انبثق الفكر السوسيولوجي عنده في ظل الصراع بين كل من العقليين والتجريبين في تحليل الفهم وأليات الإدراك الا أنه على الرغم من نقوده الكبيرة لكن عد وفيا للتقليد العقلي الفرنسي المتساوق مع المذهب الديكارتي.من خلال بحث في الاصول وهي صفه اشترك بها كل الاباء في هذه الحقبه من الحداثة في الغرب ،اذ نجد ان في هذه الحقبه وخصوصا القرن التاسع عشر حيث الثورة الصناعية وهي حقبه غنية بالتغييرات التي أحدثتها الثورة الصناعية والثورة العلمية والثورة السياسية وما صاحبها من انتشار العلمنة والتحديث، كرست معظم جهودها في بدايتها لتحليل الظاهرة الدينية([27]) وكان لحظة ولادة وهي لحظة يكون علم الاجتماع الديني هو ما دشن لحظة ولادة النظرية السوسيولوجية ذاتها ،ففي هذه الظروف كان يلحظ ان اغلب الاباء كانوا يركزون على سؤال "**الأصول**" من أين يأتي المجتمع، هذا الكيان المكون من الأفراد، لكن الذي يتمتع بوجود فريد من نوعه؟ ما هي القوانين الخاصة بالمجتمع؟ كيف أمكن لعدد كبير من البشر الذين يتمتع كل واحد منهم بحياة داخلية خاصة أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا بالطريقة نفسها؟

لهذا يعد أميل دوركايم ، المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، فقد اعتقد "بأن العقل الجمعي هو أساس المثاليات الأخلاقية والقيم والدين، بل والمعرفة والتطور الاجتماعي، ذلك لان فرداً ما من الأفراد لا يستطيع أن يغير من نظم المجتمع مهما أوتي من قوة وسلطة، ما لم يكن ذلك معبراً عن رأي العقل الجمعي للمجتمع". ([28]) وهذه الرؤية يمكن كشفها في سياق بحثنا في مؤلفاته .

[27] Trigano S., (2001), *Qu'est-ce que la religion? La transcendance des sociologiques*, Paris, Flammarion,p,9.

[28] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و ألآداب الكويت ، 1986، ، ص172.

اولا : كتاب دوركهايم الأول " الانتحار "([29]) احتوى بعض التأملات الجوهرية في وظيفة الدين ، اذ تعمق بعد ذلك في مؤلفه الثاني " الأشكال الأولية للحياة الدينية "1912.

وقد تحقق من هذا دوركهايم من خلال دراسة ظاهرة الانتحار على رغم من أنه لم يهتم بالسبب الانتحار الشخصي بل كان هدفه توضيح التباين في معدلات الانتحار ، أي أنه كان مهتما بسبب وجود شريحة معينة من الافراد لها معدل انتحار أعلى من الأخرين ، واستبعد الاسباب البيولوجية والنفسية ؛ لأنها ثابتة وأكد على العوامل الاجتماعية والدينية .فعرف الانتحار :(بانه جميع حالات الوفاة المباشرة والغير المباشرة الناجمة عن فعل إيجابي او سالبي ، من قبل الضحية الذي يعرف أنها سوف تؤدي إلى هذه النتيجة) .([30])

فهو يقسم الانتحار الى اربعة :"الانتحار الأناني " غالباً ما يحدث عندما يكون الاندماج الاجتماعي ضعيف او معدوم ، و" الانتحار الإيثاري " يحدث في المجتمعات ذات التكامل العالي ، حيث ينظر للاحتياجات الفردية علة أنها أقل أهمية من احتياجات المجتمع . فلا يوجد سبب للانتحار سوى توق الفرد لقتل نفسه نيابة عن المجتمع ، ومرد هذا الى تيارات الاجتماعية السوداوية هي سبب من أسباب معدلات الانتحار الإيثاري العالية .و"اللانتحار اللامعياري " الذي يحدث عندما تضطرب ضوابط المجتمع ، وترتفع معدلات هذا النوع من الانتحار ،بسب الاضطرابات التي تعم المجتمع مثل ،الكساد الاقتصاد ، و "اللانتحار القدري " ويظهر في المجتمعات القمعية أكثر من اللازم ، الامر الذي جعل الناس يفضلون الموت على الاستمرار في العيش داخل مجتمعهم القمعي .([31]) فاننا نلمس ان دوركايم يتبع في سياق تحليل اشكال الانتحار تقديم تعليل اسباب اجتماعية دينية اذ تنهل نظرية دوركهايم سياقها العام من الدين ، وقد تمت الإشارة إلية ضمن مؤلفه (تقسيم العمل الاجتماعي) وتتلخص الفكرة الإنسانية في أن النظام في المجتمعات الديمقراطية الحديثة والصناعية يتأسس على مبدأ التضامن ،ويستند المجتمع في توازنه بالنسبة إلى دوركهايم على قواعد ،وعلى نواميس ، وعلى قيم توحي إلى الوعي باللحمة الحيوية ، التي تهدف لاجتناب الفوضى بين الافراد

[29] اميل دور كهايم ، الانتحار، ترجمة ،حسن عودة ، منشورات وزارة الثقافة ،ط1، دمشق ،2011.
[30] اميل دور كهايم ، الانتحار، المصدر السابق .
[31] نفس المصدر .

.فالتضامن الميكانيكي ، يكون الافراد منخرطون في تكتلات اجتماعية منتظمة ، تجنح نحو الانسجام في سلوكياتها ، ونحو التشارك الالزامي في قيم جامعية .([32]) وقد تجلت تلك الرؤية التحليلية من خلال رصد وتحليل ظاهرة الانتحار وربطها بالفضاء الاجتماعي والديني فقد رأى دوركايم أننا (لكي نفسر ظاهرة اجتماعية فإن علينا أن نبحث عن السبب الذي أوجدها والوظيفة التي تقوم بها). ([33]) وانطلاقا من هذا القول نجده حلل الواقع الاجتماعي والوظيفة الديني وقد تجلت تلك الرؤية من خلال دراسة المجتمع الغربي وتنوعاته الدينية التي تخلق اشكال ونظم اجتماعية ومنها من يقوم على التضامن العضوي اي المختلف اجتماعيا ، يأتي الانسجام في منتهى الصعوبة ، مما يستدعي الاستعانة بآلية التقسيم الاجتماعي للعمل .حيث يتعلم كل فرد ان له دورا محددا يستوجب اداءه داخل المجتمع ، وبالشكل الذي يؤدي به ذلك الواجب يعكس جملة من القواعد والسنن والقيم تشكل المصلحة العامة ، والمقصود الأعلى للعيش معاً بعنى اجتماعي ، والاعتراف المتبادل الذي يقوم به الأفراد بوجود قانون معياري اساسي اطلاقاً مما يشغلونه من أدوار اجتماعية يتركز عمل المجتمع على الفرد وتتصدر اسبقية الوعي الجماعي نظيره الفردي .ومرد هذا الى (أن ما نجده في داخلية كل فرد هو على الخصوص القواعد الأخلاقية والدينية والقانونية والسياسية واللغوية... الخ، التي يسير عليها المجتمع الذي يعيش فيه).[(34)]

ونجده يبحث في الموجهات الدينية في تحليله اذ في الوقت الذي يضع فيه المذهب البروتستانتي الأفراد إمام نوع من المسؤولية ، وبعض الاختيارات الموضوعيه يوفر المذهب الكاثوليكي والديانة اليهودية إلى الافراد جماعة ، تبدو قادرة على إملاء نسق من القيم والسلوكيات ذات طابع جماعي .اذ يظهر هنا ان معنى الانتماء إلى جماعة ،وإلى فئة اجتماعية دينية ، يقوي أوامر الارتباط مع بقي فئات المجتمع وكل ذلك أقل ضمانه في المجتمعات التي تكونت بفعل التراث الديني البروتستانتي . فالدين كما ندرك في هذا العمل ، يكون عامل تماسك اجتماعي .([35]) فالدين هنا

[32] سابينو أكوافيفا و إنزوباشي ، علم الاجتماع الديني ، ترجمة عز الدين عناية ،دار حكمة ،ط1 ، بيروت ص34.
[33] سير جيمس فريزر، الغصن الذهبي ، ج1، ترجمة : أحمد أبو زيد ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1971، ص37.
[34] كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، بيروت ، 2000، ص227.
[35] سابينو أكوافيفا و إنزوباشي ، علم الاجتماع الديني ، ، ص35-35.

يعمل على ترسيخ التماسك الاجتماعي ومرد هذا التصور ناتج من الجمع بين التأمل والتجريب . ونجد أن دور كهايم ينظر الى الدين بوصفه نظام (متماسك من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأشياء مقدسة، أي معزولة على حدة ومحرمة، وهي معتقدات وممارسات من شأنها أن توحد كل الذين يلتزمون بها ضمن طائفة معينة واحدة). وقد عد دوركايم الدين شيء اجتماعي وكل الوقائع الدينية إنما تعبر عن النشاطات الاجتماعية والظواهر المجتمعية، والدين في نظره يتضمن مبدئين رئيسين: (الأول أن الأفكار الدينية والطقوس المتعلقة بها ليست إلا رمزاً للعقل الجمعي والمجتمع والثاني أن المجتمع هو المصدر الوحيد للتجربة الدينية، إذ هو الذي يجعلنا نفرق تفرقة تامة بين الحسي والروحي).[36] وفي مقام تبيانه للفرق بين الدين والسحر فإنه: (قد استبعد السحر من الحقل الديني، باعتبار أن لا مشاحنة في مجتمعية الأول – الدين – بينما الثاني أمر فردي بحت).[37] وهو هنا يختلف مع من ينظر الى الدين بوصفه وهم من الذين كانوا ينكرونه بل اجد ان دوركهايم يرى ان الدين ، ليس "وهمي"، على الرغم من أنه لا يحرم عليه ما يجد العديد من المؤمنين أساسي. الدين هو حقيقي جدا. هو تعبير عن المجتمع نفسه، وبالفعل، لا يوجد مجتمع لا يكون الدين وجود فيه . ونحن ننظر كأفراد قوة أكبر من أنفسنا، والتي هي حياتنا الاجتماعية، وإعطاء هذا التصور وجه خارق للطبيعة. ثم أننا نعبر عن أنفسنا دينيا في مجموعات، الأمر الذي يجعل لدوركهايم وزيادة قوة رمزية. الدين هو تعبير عن وعينا الجماعي.

ثانيا : كتابه **(الأشكال الأولية للحياة الدينية)**:

في الوقت الذي هذا الكتاب ذروة المسار النظري لدوركهايم في تحليله للظاهرة الدينية، قد حاول أن يتطرق الى آمرين– في هذا الكتاب – هما اولا تفسير نشأة المجتمع وما يجعله ممكنا من جهة، ومن جهة أخرى إلى تسليط الضوء على دور المجتمع في انبثاق الفكر المنطقي. ويراهن دوركهايم في كتابه هذا على الدين كمفتاح لحل هاتين الإشكاليتين. إذ يؤكد دوركهايم على أن التمثلات الدينية تمثلات جمعية.اذ ان (الدين يحتفل، من ثم ، يعزز، حقيقة أن الناس يمكن أن تشكل المجتمعات)

[36] كميل الحاج، المصدر السابق، ص228.

[37] جاك لومبار، مدخل إلى الأ، ثنوجيا ، ترجمة : حسين قبيسي ، دار المركز الثقافي العربي ، بيروت ،1997، ص208.

.([38]). فالدين في رأي دوركهايم "يتضمن في ذاته منذ البداية كل العناصر التي أدت إلى انبثاق مختلف تمظهرات الحياة الاجتماعية. إذ انحدر العلم والشعر من الأساطير والحكايات؛ وانحدرت الفنون التشكيلية من الزخارف الدينية وحفلات القداس؛ وخرج القانون والأخلاق من رحم الممارسة الطقوسية. فلا أحد يستطيع فهم تصورنا للعالم، وتصوراتنا الفلسفية للروح والخلود والحياة، إن لم يكن على دراية بالمعتقدات الدينية التي تمثل صورها الأولية."([39]) وللبرهنة على صدق هذه الأطروحة، انطلق دوركهايم من التأكيد على أن الميزة الجوهرية للدين هي التمييز بين المقدس والدنيوي. يقول دوركهايم: "إن جميع أشكال الإيمان الديني المعروفة، بسيطة كانت أو معقدة، تحمل خاصية مشتركة: إنها تقتضي تنظيم الأمور الواقعية أو المثالية التي يتصورها الإنسان في نظامين متقابلين يطلق عليهما عادة اسمين مختلفين، هما المقدس والدنيوي([40])

وفيه يظهر ان دور كهايم كان يعد اللحظة التي ولد فيها الدين هي اللحظة التي ظهرت فيها إمكانية كل أشكال الفكر العليا وبالفعل، إن أعظم خدمة قدمها الدين للفكر هي أنه أسس أول تمثل لما يمكن أن تكون عليه علاقات القرابة بين الأشياء. مثلما أن الدين قادر على تحرير العقل من خضوعه للمظاهر الملموسة، من ثم تعليمه كيف يتحكم فيها والربط بين الأشياء التي تفرق بينها الحواس .([41])

في توصيف التأثير وراء ظهور الاديان نجده انه سلب الفرد أي تأثر فالدين هو ظاهرة اجتماعية والمجتمع لم يتعبد دينا "انما تعبد نفسه "([42]) وهناك سمات تميز الحدث اجتماعية عن غيره ومن الامثله مثل الانتحار فهو حدث بيلوجي ، غير ان انتحار أحد الملوك يشكل حدثا تاريخيا أما انتحار

[38] حسن أحجيج ،العقل والدين: بحث في الأصول الدينية للعقل عند دوركهايم ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات ,2-J. Beckford ,p25.)Religion and Advanced Industrial Society (London: Unwin-Hyman, 1989

[39] LaCapra D., (2001), *Emile Durkheim. Sociologist and Philosopher*, Aurora, Colorado: The Davies Group, Second Ed., p. 236

[40]حسن أحجيج ،العقل والدين: بحث في الأصول الدينية للعقل عند دوركهايم Durkheim E., (1912) (1968), *Les formes élémentaires de la vie religieuse*, Paris, coll. «Quadrige », Presses Universitaires de Presses,p,50.

[41] حسن أحجيج ،العقل والدين: بحث في الأصول الدينية للعقل عند دوركهايم

[42] علي النشار ، نشأة الدين ، مركز الانماء الحضاري ، ط1، حلب ، 1995، ص9.

ياباني على طريقة "الهاراكيري" فهو حادث اجتماعي ،لانه تم على طريقة معروفة ، وفي مناسبات معلومة ، كما تقتضيه التقاليد ([43]) ومن هنا يمكن تعزيز هذا التأويل الذي يجعل التأثير الاول للدين على حساب الفرد نستعرض الادلة التي تثبت هذا الافتراض هي :

1- التجانس المطلق والاطراد الدائم بالظواهر الدينية لا دين –حتى يظن بفرديته – إلا واخذ عن سلفه من الأديان السابقة ، كلها خرجت عن عقلية الإنسان البدائي ، الافراد الذين حاولوا ان يضعوا دينا قائماً على تاملهم الباطني او الداخلي إنما اخذوا كل ما وضعوه من اديان اجتماعية او من العقل الجمعي الذي كان يسود عقائدهم المختلفة .

2- استقلال الحقائق الدينية وموضوعيتها فهي مستقلة عن الافراد قائمة بذاتها من ثم هي موضوعة .

3-جبرية الحقائق الدينية ؛لأنها مسيطر تضع التكاليف وأمر بها امراً جازماً([44])

فان الدراسات في ظهور الاديان وتطورها على اساس صدقها ، إنما من ناحية تعبيرها عن حياة الجماعة نفسها .فقد ميز دوركهايم بين المقدس وغير المقدس الدنيوي على الرغم من انه مزج بين الاجتماعي والديني حتى يستخلص ميزات وقوانين العقلية البدائية ، ومعرفة القوانين الباطنية لنمو العلم والمنطق انطلاقا من اجتماعية الدين .([45]) وقد صور دوركايم النتيجة في نظرته الى الطوطمية بوصفها تعبير مادي عن حقيقة مجردة ، ترمز لشيئين ،فهي الصورة الخارجية المحسوسة لما يسمى بالإله الطوطمي من جهة ، ورمز خاص للعشيرة تميزها من باقي العشائر من جهة اخرى ، وعلى هذا الأساس ظن دوركايم أن الإله والجماعة ليسا سوى شيء واحد ،أي أن إله العشيرة هو العشيرة نفسها ، ومن ثم لم تعبد العشيرة إلهاً بل عبدت نفسها .([46])

ثالثا :علم الاجتماع الديني عند فيبر(1864-1920)

[43] يوسف شلحت ، نحو نظرية جديدة في علم لاجتماع الديني ، دار الفارابي ،ط1، ، ص37.
[44] نفس المصدر ، ص15.
[45] نفس المصدر ،ص16.
[46] إحسان علي الحيدري ، فلسفة الدين في الفكر الغربي ، دار الرافدين ، ص65.

وُلد ماكس فيبر في الثاني والعشرين من شهر نيسان عام 1864 في مدينة إيرفورت (ولاية تورينغن) وترعرع في عائلة محافظة.([47]) وبعد أن أنهى دراسته، التحق عالم المستقبل بجامعات عديدة في برلين وهايدلبرغ ودرس علوم الحقوق والفلسفة والتاريخ والاقتصاد القومي.([48]) يعد اشهر عالم ألماني في الاقتصاد والسياسة ، و أكثر علماء الاجتماع المعاصرين فضلا عن كونه أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسته الادارة في مؤسسات الدولة وكان شغوفا بدراسة الاديان ، كما درس في مطلع حياته القانون والاقتصاد ، وكان يرى أن الاخلاق البروتستانيه اخلاق مثالية ومنها استقى النموذج في المثالي للبيروقراطية والذي يتميز بالعقلانية والرشد ، ومن اهم اعماله (السياسة كمهنة)الذي يعرف فيه الدولة بانها الكيان الوحيد الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة ، وأصبح هذا التعريف محوريا في دراسة علم السياسة .([49]) وكتب في عام 1913 بكتابة أحد أهم أعماله وهو "الاقتصاد والمجتمع" والذي نُشر لأول مرة عام 1922، أي بعد وفاته. وبدأت تظهر اهتمامات فيبر بالأمور السياسية الراهنة عام 1915. هذا ويُعد فيبر أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الألماني عام 1919. وفي العام نفسه كتب عمل مهم هو"العلم كمهنة" ، ثم كرس بعد ذلك جل وقته لدراسة الدين على الرغم من انه على المستوى الشخصي لم يكن متديناً.([50])

اولا : تأثير التصورات الدينية في ظهور الحداثة العقلية

نحن في مجال بحثنا نجد ان فيبر تناول الدين من زواية محددة ولغراض محدده اذ لم يهتم فيبر بالدين في حد ذاته، بل اهتم به في سياق البحث عن جواب ملائم للسؤال الذي شغل علم الاجتماع

[47] كان للاختلافات المهمه بين والدية تأثير عميق على نموه السيكيولوجي وتوجه العقلي ، فقد كان والده واحداً من رجال الإدارة .استطاع أي يصل إلى منصب سياسي هام نسبياً كان الأب محباً للاستمتاع بمباهج الحياة الدنيوية ، وفي هذه الناحية - وفي نواحي أخرى كثيرة –كان يقف على النقيض من زوجته (والدة فيبر بر)التي كانت تنتمي للطائفة الكالفينية وكانت تسعى إلى حياة زاهدة وكانت اهتماماتها أكثر توجها نحو الحياة الآخرويه .من المقدمة كتاب : ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، ترجمة صلاح هلال ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط1،القاهرة ،2011،ص8

[48] وعند بلوغه سن الثلاثين دُعي فيبر للعمل كبروفسور في كلية الاقتصاد القومي في جامعة فرايبورغ (جنوب ألمانيا). وبعد ذلك، انتقل إلى جامعة هايدلبرغ. ولكنه بعد انتقاله إلى هذه الجامعة العريقة، أُصيب بمرض نفسي أجبره على مزاولة عمله على مدى سبع سنوات بشكل متقطع. وكان عام 1904 بمثابة ولادة جيدة لفيبر، فقد بدأ من جديد بنشر أعمال كان أهمية كبيرة في مجال علوم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد. وفي عام 1909 شارك فيبر في تأسيس الجمعية الألمانية لعلوم الاجتماع.

[49] (من اقوال المترجم) ، ماكس فيبر ، ص97.

[50] نفس المصدر ، ص9.

منذ بدايته: لماذا ظهرت الحداثة في أوروبا وليس في مكان آخر؟ وإذا كان معروفا أن الحداثة عند فيبر، هي العقلانية في أرقى مراحلها، وهي التي أعطت ، على المستوى الاقتصادي، الرأسمالية، فإن السؤال الذي انبثقت منه كل أبحاثه في هذا الموضوع هو: ما هي الظواهر العقلانية، غير اقتصادية، التي تستطيع أن تؤثر بجلاء في العقلانية الاقتصادية؟ في سبيل بحثة عن اجابة عن تلك الاسئلة اقام فيبر علاقة بين الدين والمنهج العلمي نجد انه كان يعمل جاهدا في سبيل تقديم توفيق بين المنهج العلمي بوصفه قاسما مشتركا بين العلوم جميعا ، وبين أسلوب الفهم بوصفه اداة فعالة لفهم الظاهرة الإنسانية ([51])لقد انصبت كل أعمال فيبر على عامل واحد هو الدين، وكانت تتخذ مسارين اثنين:

الأول، تبيان المساهمة الإيجابية للمسيحية، أو لإحدى تأويلاتها، في تشكيل مصير الرأسمالية. الثاني تبيان، المعوقات التي ساهمت بها الديانات الأخرى، في منع بروز الرأسمالية، في مناطق أخرى غير أوروبا.([52])ولعل هذا ما يظهر في كتابة الاخلاق البروتستانتية التي استعرض بها بروز "التقليد" المتعلق بشكل معين من الاقتصاد ، وقد أخذ هذا مثلاً على ذلك العلاقة بين روح الحياة الاقتصادية الحديثة وبين الاخلاق العقلانية لدى البروتستانية النسكية ([53]).ومن ثم كانت موضوعة الدين قد برزت لدى فيبر من اجل الاجابة عن تلك التساؤلات عن الحداثة العقلانية فمن الضروري انه سوف يختلف مع تأويل آخر هو تأويل ماركس لهذا اتخذ موقفان :

الاول مناهضة الفكر الماركسي في أساسه وجوهره التي تقع تحت عنوان الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. إذا كانت الماركسية عدت أن العامل الاقتصادي والاجتماعي هو الذي يحدد وعي الناس أو كما يقول ماركس: س فإن ماركس فيبر من خلال أبحاثه السوسيولوجية خصوصا في الدين والمجتمع والسياسية والاقتصاد، عد أن القيم الثقافية وعلى رأسها القيم الدينية هي التي أرست معالم الرأسمالية وهي التي ساهمت في تكوين الحرية الفردية التي تقوم على مبدأ المبادرة

[51] محمد عودة ، اسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت (د.ت)، ص65-66.
[52] انظر : علي ليلة ، ماكس فيبر و البحث المضاد في أصل الرسمالية ، المكتبة المصرية ، ط1، الإسكندرية ، 2004.
[53] ماكس فيبر ، الأخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية ، ترجمة ، محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي ، ط1، بيروت،ص12.

والربح وامتلاك الثروة. يعد كتاب أخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية لماكس فيبر من أهم كتاباته التي تؤسس لهذه الفكرة .حيث يقول ماكس فيبر(فقد كانت القوى السحرية والدينية، إضافة إلى أفكار أخلاقية مبنية على أساسها، تعد من بين العناصر الأكثر أهمية في تكوين السلوك)([54])

ثانيا قام فيبر بعد ذلك بدراسات مقارنة تقوم على فهم وتأويل تلك الاديان وظروفها التاريخية ، اذ تناولت الأديان الكبرى والعلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية من جهة والاتجاهات الدينية من جهة أخرى، وهذه هي وظيفة علم الاجتماع التي اكدها فيبر بقوله : (إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي)([55]) كما يرى زهير الخويلدي :من وجهة المنهج يتجاوز فيبر في مقاربته للوضع الاجتماعي للكائن البشري أولا التصور الوضعي للمسألة الاجتماعية واعتماده على طريقة التفسير والملاحظة الخارجية والتنبؤ وينقد اعتبار دوركايم الظواهر الاجتماعية مجرد أشياء وتطبيقه لطرق كمية. من جهة ثانية يتخطى التعارض الذي يقيمه ديلتاي بين الفهم والتفسيربجعله حركة التأويل لتضمن العنصر السببي وقوله بجدلية الفهم والتفسير ؛ لأن علم الاجتماع تأويلي .([56])اذ يقدم تأويل يأخذ بنظر الاعتبار كل التصورات الممكن لدي الطوائف المسيحية مثل (الكاثوليكية والكالفانية والبروتستانتية).([57]) يخلص الى القول :(إذا عدنا إلى الإحصائيات المهنية في بلد تتعايش فيه طوائف دينية متعددة، نلحظ بصورة متواترة ، واقعا أثار العديد من المرات نقاشات حادة في الصحف والكتابات الأدبية، والمؤتمرات الكاثوليكية في

---

[54] يوسف الكلاخي ، قراءة في كتاب أخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية لماكس فيبر، الحوار المتمدن-العدد: 3595 - 2012 / 1 / 2 - 16:41.

[55] فليب كابان وجان فرانسوا دورتيه ، علم الاجتماع ، ترجمة ،إياس حسن ، دار الفرقد ،ط1، دمشق ، 2010 ، ص47.

[56] زهير الخويلدي ، النشاط الاجتماعي بين العقلنة والشرعنة عند ماكس فيبر ، موقع كتابات .

[57] الكالفينية : الحركات الإصلاحية المحافظة في القرن السادس عشر. تضم هذه الحركات جماعات انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية ولكنها احتفظت بكثير من العقائد الأساسية لتلك الكنيسة ومن بين هذه الحركات وفقًا لتاريخ ظهورها: اللوثرية وقد تم تأسيسها وفقًا لتعاليم مارتن لوثر، وتعد من أوائل وأكبر الحركات البروتستانتية التي انتشرت بسرعة شديدة في شمالي ألمانيا وبين الأمم الإسكندينافية خلال العشرينيات من القرن السادس عشر. ويتفق اللوثريون عمومًا على أهمية الإيمان بسُلْطة الكتاب المقدس، ولكنهم اختلفوا اختلافًا كبيرًا، على شكل الطقوس وحكومة الكنيسة، وأدت تلك الاختلافات إلي نشأة طوائف عديدة. وهناك أيضًا الإصلاحية أو المشيخية وقد تطورت بدرجة كبيرة من تعاليم اثنين من المصلحين؛ زوينجلي هولدريتش (1484-1532م) وجون كَالْفِن 1509-1564)م). ففي عشرينيات القرن السادس عشر شجع زوينجلي على القيام بإصلاحات أكثر تطرفاً من إصلاحات لوثر. وقد أثرت تعاليمه، بدرجة كبيرة في كل من إنجلترا وفرنسا وهولندا وأسكتلندا، وعرف أتباعه في إنجلترا باسم البيوريتان (المتطهرين) وفي فرنسا باسم الهوغونيين. كما عمل جون نكس على إدخال تعاليم كَالْفِن إلى أسكتلندا.

ألمانيا، يتلخص هذا الواقع في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة، وفوق ذلك، الملاك التقني والتجاري ذا الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية.)([58])

يبدو ان مقاربة فيبر النقدي للدين هي رهينة تلك الموجهات أي منها ما هو نقدي لما يمثله رهان الدين بكون خطاب تخديري اذ كانت اجابت فيبر تبين اثر الدين – وهو هنا يقصد تاويل بذاته – الفاعل في الحياة الاجتماعية والاقتصادي وهذه تقريبا تمثل جوهر فكره .فهو كان من اجل فهم هذا التوجه أي الاجتماع الديني يعني بالضرورة البحث في إدراك تصور الفاعل للوجود بأكمله إذ في ضوء هذا الاعتقاد حدد فيبر التساؤل الآتي لكي تجيب عليه دراساته،إلى أي مدى تؤثر التصورات الدينية عن العالم والوجود في السلوك الاقتصادي لكافة ألمجتمعات. بوصفها معتقد عند مجموعه دينية و كيف اثر في سلوكهم واعتقاده الديني في ظهور الرأسمالية وقد انتهج في هذا التحليل بعدان بنية المجتمع الاقتصادي في زمانه واستعراض تكويني تاريخي يأخذ برصد تواجد هذه الطائفة في التاريخ الاقتصادي .وهو هنا يتخذ موقفا يقوم على التحليل والفرز والتفسير يفرق بين اشكال محددة ايجابية وأخرى سالبيه من اشكال الدين ظهرت تاريخيا .

أما المجال الأول حيث يعرض تواجد هذه الطائفة وحضورها الفاعل في الحياة الاقتصادية حيث تحتكر ملكية راس المال ، فقد ارجع هذا الى البنية الدينية وهو هنا يقارب الامر من زاوية مختلفة عن إميل دوركهايم الذي ارجع الى التماسك والتقارب عند الكاثوليك واليهود اثناء معالجته **الانتحار** ، الا ان فيبر هنا يعبر عن الامر من زاوية اخر وبنتائج مختلفة ، اذ يعرض حضورهم في مختلف القطاعات الحيوية اقتصاديا واجتماعيا وقد علل هذا كونها الأقرب الى الروح الرسمالية .

أما على المستوى التكويني حيث عرض تواجد هذه الطائفة ومشاركتها الفاعلة في ملكية الرأسمال وفي الإدارة الذي فقد يكون ناجما عن ثورة كبيرة جدا انتقلت إليهم بالوراثة، بقوله : (ينبغي

[58] ماكس فيبر ، الأخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية ، ص16.

الإشارة في المقابل إلى أن إمساك البروتستانتيون ، في إطار الحياة الاقتصادية المعاصرة ، بالنصيب الأكبر من الرأسمال ، وبالحصة الأكبر من الإدارة قد يكون ناجما جزئيا على الاقل ، عن ثروة كبيرة جدا انتقلت إليهم بالوراثة . غير ان ظاهرات أخرى موجودة لا تخضع لمثل هذا التفسير ...إن الأهل ، الذين ينتمون إلى الكاثوليكية ، يختلفون كثيرا عن البروتسانتيين في اختيارات نوع التعليم الثانوي الذي يوجهون أولادهم إليه ، وهو اختلاف بارز على العموم ...)([59]) فهو في هذه المقاربة النقدية يريد تأكيد أمرين : الاول منهما أن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات يفهم في إطار تصورهم العام للوجود وتعد المعتقدات الدينية وتفسيرها إحدى هذا التصورات للعالم والتي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات بما في ذلك السلوك الاقتصادي،والامر الثاني إن التصورات الدينية هي بالفعل إحدى محددات السلوك الاقتصادي ومن ثم فهي تعد من أسباب تغير هذا السلوك.فان تأكيده على أن الحفر في المعتقد الديني بين البروتستانتية والكالفينية يرى فيبر أن الكالفينية وجدت لتعظيم الرب، أي أنها تضعه بمجل تنفيذ الأوامر الربانية فيعيش حياة اجتماعية محورها هو حياة روحانية ربانية خالصة، فيصبح هذا الاندماج للحياة الدينية بالاجتماعية ملبيا للحياة البشرية ومعبرا عن قيمة العمل المعروف كفعل لتمجيد الرب وتعظيمه لا لتحقيق مكاسب شخصية.([60]) وتكتمل الصورة المثالية للكالفينية بنظرها إلى الفرد والأخلاق على أنها علاقة بدون صراع، في حين يعد البروتستانتية أن علاقة الإنسان بربه هي علاقة فردية، أي أن الله يبارك لعبده من خلال ما يقوم به من أعمال، ولكي يعرف هذا العبد إذا كان الله راض أو غير راض عنه يحب أن يراقب سلوكه فإن كانت أعماله تبوء بالنجاح ويعيش عيشة راضية فالله بذلك راض عنه وإذا كانت سلوكاته غير معتدلة وعمله غير ناجح فالله بذلك غير راض عنه، (هنا يصبح مبدأ الرضى حافزا من أجل العمل الأكثر والإنتاج). هذا الفهم الذي جاءت به البروتستانتية مكن البروتستانتيين من مجموعة من الأفكار التي لم تكن واردة لديهم من قبل.

انطلاقا من تلك التصورات واليات التفسير والتأويل فأننا نجد ان اهمية الدين تزداد كوظيفه إيجابية في العقلانية الغربية ، عند فيبر، عندما يصنف هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين ويضع على رأسهم

[59] نفس المصدر ، ص 17 وانظر هامش 7 فيه جدول يعبر عن نسب التفاوت بين الطوائف .
[60] تاريخ الفكر الأوربي الحديث" لرونالد ستورمبرج، ترجمة أحمد الشيباني، المجلد الثاني.

النبي، كنوع من القيادة الكاريزمية التي تقود نحو التغير الاجتماعي والأخلاقي والسياسي. إذن فرجل الدين (وليس رجل العلم وحده)، قادر على أن يحدث تغيرات مهمة داخل المجتمع. يبدو أن هذا التأويل الذي جاءت به هذه الطائفة يقارب مفهوم الليبرالية التي تمح الفرد وحرية مكانه مميزة ، وهو ما رصده من قبل دوركهايم ؛ إلا أنه جعل منه باعث على الاضطراب يقود إما إلى التماسك أو إلى الانتحار .وهكذا، فالدين، مع فيبر، لا تنحصر وظيفته في تحقيق الانسجام الاجتماعي فقط، مثلما ترى الوظيفية، بل هو كذلك، وعلى الخصوص، عنصر قادر على إنتاج التجديد والتغير الاجتماعي. وبالفعل، فلقد استطاع الدين أن يشكل الأساس الحقيقي للمعايير الاجتماعية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية كما شكل منظومة مضادة الى اشكال اخرى مختلفه عن اماط الحداثة العقلانية الغربية .فهذه الحداثة اختلفت مع الداخل أي التأويل الكاثوليكي القائم على وساطة الكنيسة بين الله والبشر في ظل البروتستانتية أصبح الإنسان في علاقة مباشرة بينه وبين ربه لا يعوقهما أي حجاب ومقياس رضى الله هو قياس العبد لسيرته في الحياة الدنيا ولعلاقته مع باقي ألعباد هذا التصور فرض نمطا معينا من السلوك على المؤمن، وهو ما يسمى بالنمط المعتدل المائل للتقشف، حيث إذا كان الإنسان رابحا في التجارة فأرباحه لا يجب أن تصرف في التكبر على الناس والفخر ولا على ارتكاب الأثام والمحرمات لكي لا يطغى العبد، فالتصور البروتستانتي فرض على المؤمنين أن يكونوا معتدلين في أسلوب حياتهم، هذه الأخلاق جعلت الناس يراكموا الثورات عن طريق العمل المتواصل وعدم التبذير والاستثمار أكثر من أجل مضاعفة الأرباح وتوسيع الإنتاج، حيث أدى هذا إلى ما يسمى بعقلنة الاقتصاد وخضوعه للمنهجية في السلوك وهيمنة روح من العقلنة في ضبط الأمور، كنتيجة لهذا الإصلاح، من هنا ربط فيبر البروتستانتية بظهور الرأسمالية.ومن مقاربته نجده انه انطلق من اثر المنظومة الاخلاقية للدين في السلوك الاقتصادي وكتفى بهذا دون ان يتوغل في تقديم مقاربة اكثر سعة تشمل معالج الجوانب المختلفة للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية. وانطلاقا من تلك المقاربة استنتج فيبر ان الراسمالية بوصفها ظاهرة اقتصادية تنحصر في كونها تنظيم عقلي تتم ادارة وفق معاير ادارية وعلمية تراعي اقتصاديات السوق ، والإنتاج للجماهير وعن طريقهم والإنتاج من أجل المال والحماس المتزايد والروح المعنوية العالية والكفاءة في العمل تلك التي تتطلب تفرغاً كاملاً من الفرد ليزاول مهنته أو عمله وهذا التفرغ يجعل

من العمل المهني هدفاً ومطلباً رئيسياً في حياة الفرد وهذه الأخلاق المهنية تعد من السمات الواضحة لروح الرأسمالية الحديثة.([61])

اذ اعتبر ماكس فيبر **التربية الدينية هي أفضل وسيلة للتربية الاقتصادية**، إذ يصبح العمل إلزاما خلقيا ويزيد الإنتاج ويتم إخراجه من العمل اليومي الروتيني التقليدي.فهذه الممارسة الاقتصادية تتطلب مجموعة من التصورات والمهارات منها على سبيل توفر خصائص نفسية واجتماعية تحفز اخلاقيات العمل وتستبعد الكسل والخرافة التي تناقض الفكر العقلاني العلمي الذي يعد شرط ضروري للسلوك الرأسمالي الى جانب تعزيز قيم مثل الأمانة هي أفضل سياسة، والحساب الدقيق ضرورة لأي عمل، السلوك المنظم، المثابرة، الكفاية، الصدق والإخلاص .فهو هنا يصرح (إن نمط الحياة المنهجي لدى الطوائف النسكية هو وحده الذي كان قادرا على الترشيح للحوافز الاقتصادية الفردية الكامنة في هذا التقليد البرجوازي ، وذلك عبر تغيير صورة هذه الحوافز)([62])

ومن هنا تظهر وظيفة الدين اذ تغدو مساهمة لعلم اجتماع الدين ينتشر في كل ركن من أركان الانضباط المركزية لفهمه هو الاقتناع بأن الدين يمكن أن يشكل دور حيوياً ومن ثم لا يمكن ان يعامل بوصفه شيء غير مهم او يعزل اثره عن واقع المجتمع ،فالعلاقة بين الدين و "العالم" تتسم بكونها عرضه الى كل ما هو الطارئة والمتغيرة ، ومن ثم فان هذه العلاقة لا يمكن أن ينظر لها الا في الخصوصية التاريخية والاجتماعية والثقافية لها، ومن هنا تأتي تاريخيتها وهي ومن ثم علاقة عرضه الى التطور والنمو مع المتغيرات التي تحدث وتستوجب اجابة مختلف لها .هذه الافتراضات الثلاثة تدعم أعظم ما أبدع فيبر في هذا المجال، دراسة مقارنة له من الديانات الرئيسية في العالم وتأثيرها على السلوك اليومي في أجزاء مختلفة من العالم. ([63])فهو بعد ادرك مواطن الخلل والقوة في التصورات الدينية المسيحية يقارب الامر تاريخيا في البلدان الشرقية

[61] ماكس فيبر ، الأخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية ، ص
[62] ماكس فيبر ، الأخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية ، ص185.

[63] 2-J. Beckford, Religion and Advanced Industrial Society (London: Unwin-Hyman, 1989(p:32.

فيخرج لنا باشكال ثلاثة من القيادة كنتيجه تدخل في ما سماه الجوانب المثالية التي كان يعتمدها في تحلية فتظهر لنا ثلاث اشكال من القيادة :النوع الأوّل من السلطة (السلطة التقليدية Traditional) Authority([64]) أمّا (السلطة الكاريزمية Charismatic Authority ([65])وهناك النوع الثالث من السلطة الذي أشار إليه (فيبر) وهو "السلطة القانونية.Legal Authority "([66])

ثانيا : الحلول بتجاوز الجوانب السلبية من التصورات الدينة والسياسية في ادارة الدولة والمجتمع الصناعي :

السياسة مع العاطفة والإحساس نسبة

كتاب فيبر " السياسة كمهنة"، جاء في ظل ظروف حرجه عاشتها المانيا بعد الحرب العالمية الأولى وتنازل الإمبراطور فكان لابد من وقفه تحدد الموقف من المستقبل هنا جاءت المحاضرات التي قدمها في ميونيخ في يناير 1919 أمام الطلاب، وقد كان يمثل السياسي صاحب الكاريزمية، اراد ان يبين موقفه بصورة ألمانيا الديمقراطية الجديدة التي تقف بالضد من التيارات الممثله سواء بالنخب القديمة، اوالقوى الثورية التي ارادت بكل قوته ان تفرض يوتوبيا سياسية ثورية ،اما فيبر فقد رفض الجمود الذي يمثله القديم والجموح الذي يدعو له الجديد وكان بديله خطاب ديمقراطي

[64] فالأساس الذي تعتمد عليه هذه السلطة هو اعتقاد الأفراد السائد بوجود قواعد معينة لها قدسية أو قوة روحية معينة بحيث تعوّض المخالف لها للغضب الإلهي، أو تعوّضه لنوع من العقاب الدنيوي، وهذه القواعد هي التي تجزم بضرورة خضوع الأفراد أصحاب السلطة سواء كانوا ملوكاً، أم أمراء، أم أرباباً لأسر، أم رؤساء لعشائر أو قبائل للعقاب الإلهي أو الدنيوي، هي السيطرة العرفية وتقوم على أساس الاعتقاد بقداسة الأعراف السائدة فهي ذات طبيعة تقليدية لأن من يصل إلى السلطة يصلها بفضل العادات و التقاليد القديمة المبنية على المعتقدات و الأعراف.

[65] فهي تقوم على أساس وجود شخص يمتلك صفات استثنائية غير اعتيادية، فالشرعية التي يتمتع بها حكم هؤلاء الأفراد تنبع من اعتقاد الناس بصفاتهم الخارقة التي قد تستمد جذورها من شيء غيبي، مثل الاعتقاد بالقوى الروحية التي يتمتع بها الحاكم أو التي قد تظهر بواسطة المعجزات أو بواسطة انتصاراته المتوالية في الحروب، أو في مختلف المجالات الأخرى التي هي في صالح أفراد الشعب، ولكن مثل هذه السلطة قد تتلاشى إذا لم يكن هناك شيء من الدلائل على صحة الصفات الخارقة أو غير الاعتيادية التي يتمتع بها الحاكم، والأمثلة التي يوردها (فيبر) على ممارسي هذه السلطة تشمل الأنبياء والسحرة والقادة المشهورين، ورؤساء بعض الأحزاب لمن يتبعهم من الأفراد.. تتميز بالقوة الخارقة و الخاصة المقدسة لشخص الزعيم و بالنظام المبني على هذه القداسة التي تدفع الأعضاء إلى التسليم بالقيمة الخارقة لرجل أو لفرد يتميز بهذه السلطة.

[66] التي تشير إلى نمط من السلطة يقوم على أساس عقلي رشيد مصدره الاعتقاد بقواعد أو معايير موضوعية وغير شخصية، يفوّض الذين يملكون مقاليد السلطة إصدار أوامرهم بهدف إتباع هذه القواعد والحفاظ عليها، وقد استخدم (فيبر) كلمة "بيروقراطية Bureaucracy "للإشارة إلى هذا النمط من السلطة ،هي السيطرة الشرعية ذات طابع عقلي تقوم على أساس الاعتقاد بصحة و شرعية السيطرة داخل المؤسسات السياسية لأن من يمارس هذه السلطة يمارسها طبقا للقوانين فهي ذات طبيعة عقلانية مبنية على الاعتقاد في مشروعية السيطرة و في شرعية الممارسين لهذه السيطرة.

أراده ان يكون بديل يقوم على ضرورة وجود نظام مؤسسة الى جانب اهتمامه بدور العاطفة . يحاول تقديم معالجه موضوعية تتغلب على الازمات وتجترح حلول تحاول تجاوز خيبات الامل النتاجه عن التحول في المانيا ، يبين فيبر انه جعل السياسة فعلا للبحث العلمي ، وبحث في هذا الكتاب قضايا السيطرة والهيمنة والطاعة والشرعية والمشروعية والكريزما و السلطة والبيروقراطية والدولة والنفوذ والحق والقانون ،ومحاولاً ان يميز بين السياسة والذي يعيش لها .([67])ثم الحلول التي يقدمها في تجاوز السلبيات الدينية والسياسية فانه يجد الحل بالشكل الثالث القيادة ، التي تقوم على القانون اذ اشتهر(فيبر) في ميدان علم الاجتماع الصناعي وعلم الاجتماع السياسي بدراسته الهامة عن البيروقراطية والسلطة، وبهذا يمثل ظروف عصر بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، حيث وضع صورة الرأسمالية ، وبدأت ألمانيا طريقها كي تكون مجتمعا صناعيا .([68])

فقد حلل طبيعة الانظمة السابقة وأليأتها وما تعانيه من نواقص كما وجدناه يحلل البروتستانتية بوصفها نسق رشيد الى جانب نسق غير رشيد الى حد كبير ممثل بالكونفوشيه والتاوية والهندوكية التي عاقت تطور النسق الاقتصادي نحو الرشد ([69]) ومن ثم جاءت رؤيته في هذا الكتاب تقوم اساسا على ايجاد نظام اداري البيروقراطي• له قواعد وأسس ، فالى جانب تحليله خطاب الحداثة العقلانية وقدم معالجه تتجاوز النواقص من خلال مقترحه طبيعة التنظيم البيروقراطي بوصفه أحد أشكال التنظيم الرسمي على أساس التدرج التصاعدي، سواء أكان ذلك بالنسبة للمجال الحكومي، أم

[67] محمد علي (مقدمة المترجم)، ماكس فيبر ، لورن ملوري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، بيروت ، 2008،ص12-13.

[68] عبد الباسط المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 44، 1981، ،ص91.

[69] من المقدمة كتاب : ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، ص12.

• النظرية البيروقراطية:من المتعارف عليه لدى الجميع أن البيروقراطية هي الروتين الممل والإجراءات المعقدة التي ليس لها فائدة سوى تأخير المعاملات وتعقيدها.. وهذا المفهوم بلا شك يعتبر مفهوماً خاطئاً.. ولو عدنا إلى التعريف الصحيح للكلمة.. لوجدنا أن المعنى اللفظي للبيروقراطية Bureaucracy أنها مكونة من مقطعين: الأول Bureau وهي تعني مكتب والثاني Cracy وهي مشتقة من الأصل الإغريقي Kratos ومعناها Strong The أي القوة، والكلمة في مجموعها تعني (قوة المكتب أو سلطة المكتب) ويأتي أصل كلمة بيروقراطية من الفرنسية من كلمة بيرو (Bureau) أي مكتب، وترمز للمكاتب الحكومية التي كانت في القرن الثامن عشر، ومن اليونانية من كلمة (Kratos) أي القوة (السلطة والسيادة)، وقد استخدمت كلمة البيروقراطية للدلالة على الرجال الذين يجلسون خلف المكاتب الحكومية ويمسكون بأيديهم بالسلطة، ولكن توسع هذا المفهوم ليشمل المؤسسات غير الحكومية كالمدارس والمستشفيات والمصانع والشركات وغيرها.

في مجال الأعمال والنشاطات التي تتخلل المؤسسات العامة والخاصة، أم في بعض المؤسسات الاجتماعية، وتناول خصائص البيروقراطية الحديثة وكيفية عمل الأجهزة الرسمية، رأى إنَّ هناك مجالات محددة لعمل الأجهزة البيروقراطية، وتحدد هذا المجالات بواسطة قواعد مقننة أو منصوص عليها بالقوانين والضوابط الإدارية، وتتكون السلطة البيروقراطية على مستوى الحكومة أو على مستوى الخدمات العامة .

الخلاصة : الامر يتعلق ببناء دولة تكون فيها المؤسسات هي الثابت وممارس السلطة او الحكم هو المتحول , لان مؤسسة الدولة هي عبارة عن الوسط المثالي الذي تمارس فيه فعاليات السلطة.

الخاتمة

شكل – ولا يزال – الجانب الاجتماعي حضور فاعل بل مؤثر في دراسة وتفهم السلوك الاجتماعي للمجتمعات وعلاقتها بالسياسية والدين وتمظهراتهما في الفضاء العمومي فهذا حقل مهم مع بزوغ الحداثة والبحث عن شرعية عقلية تحل محل الشرعية الكنسية وأصبح معها الدين ارض مهمة للبحث والاستقصاء مما جعل بين الدين وعلم الاجتماع علاقة جدلية اذ هناك الكثير من التوصيفات الاجتماعية للدين وهي كثيرة فأن أسس أي دين تكمن أولا في الحياة الجماعية ، ومن جانبه أيضا ربط علم الاجتماع الجدلي بشدة الوقائع الدينية بالبنى الاقتصادية والاجتماعية ، مما مهد الى الكثير من الدراسات خلال حقبة الحداثة مازال بعضها مستمر على الرغم من تحولات الرهانات وزيادة الدراسات الاجتماعية عمقا على صعيد المنهج والرؤية فهنا اليوم كثير من النقود لما انتج من دراسات لكن المراجعة تكشف تاريخية تلك الدراسات ودورها في تطور حقل علم الاجتماع الدين الذيس كان مهتما بدراسة ظواهر الحياة الدينية في جميع أشكالها، وذلك باستخدام التاريخ المقارن للأديان، وعلم الأجناس،وكان يحدوه امل في تعزيز الفهم لدور الدين في المجتمع، الى جانب تحليل أهميته وتأثيره على التاريخ البشري،لفهم القوى الاجتماعية والمؤثرات التي بدورها شكلت الدين فهما وتفسيرا وتأويلا وكان عهد الاباء خصب ومؤسس لحقل علم الاجتماع الديني .